المحور الثاني: النظريات الكبرى في علم النفس النمو

المحاضرة الثالثة: نظرية التحليل النفسي (نظرية النمو النفسي الجنسي (لفرويد)

أهداف المحاضرة:

- أن يعرف الطالب المفاهيم الأساسية في نظرية التحليل النفسي.
- أن يفهم تفسير النظرية للنمو النفسي الجنسي.
- أن يتعرف على مراحل النمو النفسي الجنسي.
- إدراك أهمية التثبيت في تحديد نمط الشخصية حسب النظرية.

تمهيد:

النظرية هي الوسيلة التي تمكننا من إخضاع ظواهر عالمنا للدراسة العلمية، وذلك عن طريق ترجمة هذة الظواهر إلى متغيرات محددة يمكن التحقق منها ودراسة العلاقات بينها. يميل بعض الباحثين إلى تصنيف النماذج النظرية السائدة في مجال علم النفس إلى مجموعات أو فئات حسب أسس معينة يرونها جديرة بالاعتبار لأنها تزيد من الفهم لظاهرة التغير النمائي ، فالبعض يصف النماذج النظرية حسب السعة أو الشمول ، فيكون لدينا النماذج الشاملة التي تحاول أن تشرح أو تفسر كل مظاهر السلوك تقريباً مثل نظرية التحليل النفسي ، وهناك النماذج الأقل شمولا وتركز على بعض الجوانب الأساسية في السلوك مثل نظرية بياجيه التي تهتم بتفسير الجوانب المعرفية للسلوك وأيضا نظرية اريكسون التي تهتم بتفسير الجوانب الاجتماعية للسلوك.

نظرية النمو النفسي الجنسي " لفرويد "

التعريف بصاحب النظرية: سيجموند فرويد (6 ماي 1856 - 23 سبتمبر 1939).

ولد سيجموند فرويد في فرايبرج بالنمسا عام 1856 م ، وحين بلغ الرابعة من عمره ذهب مع أسرته إلى فيينا التي عاش فيها ما يقارب ثمانين عاما. كان فرويد دائما تلميذا متفوقا، حيث احتل المرتبة الأولى في صفه عند تخرجه ، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره التحق بمدرسة الطب التي مكث بها ثماني سنوات لكي ينهي الدراسة التي تستغرق عادة أربع سنوات فقط. ويرجع ذلك إلى متابعته وانشغاله بكثير من الاهتمامات خارج مجال الطب. ولم يكن فرويد مهتما في الحقيقة بأن يصبح طبيبا ولكنة رأى أن دراسة الطب هي الطريق إلى الانغماس في البحث العلمي . وهو طبيب نمساوي من اصل يهودي، ، حصل عبلى الدكتوراه في الطب عام 1881 . يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي.. اشتهر فرويد بنظريات العقل اللاواعي، وآليات الدفاع ، وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي. كما اشتهر بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية،

نظرية التحليل النفسي:

تناول فرويد بناءات الشخصية من جانبين ، حيث تحدث عن البناءات من حيث أساس تكوينها و وظائفها وتشمل الهو ، الأنا ، والانا العليا، ثم تحدث عنها وعن محتواها من حيث مدى ارتباطها بالوعي فقسمها إلى الشعور ، ما قبل الشعور ، وأخيرا اللاشعور، ويرى أن هذه العناصر تتفاعل فيما بينها تفاعلا وثيقا، وأن شخصية الانسان هي محصلة هذا التفاعل؛ فتوازن هذه العناصر يؤدي إلى تكامل الشخصية، وتصارعها أو تغلب أحدها يؤدي إلى اختلال التوافق واختلال الصحة النفسية.

- **الهو:** يولد الطفل مزودا به، ويرتبط بالغرائز الأساسية و أهمها الجنس والعدوان ويسير وفقا لمبدأ اللذة،بمعنى انه يسعى للإشباع المباشر ويصارع لتحقيق ذلك.

- **الأنا:** تنمو الأنا خلال مرحلة الرضاعة حيث ينفصل عن الهو كنتيجة للضغوط التي يفرضها الواقع على الفرد .ويعمل الأنا من الناحية الوظيفة كوسيط بين الواقع ورغبات الهو، حيث يسعى إلى إشباع هذه الرغبات بطريق مشروع اجتماعيا) مبدأ الواقع (، كما انه في صراعه هذا يقع تحت ضغوط الأنا العليا وخاصة عندما يضعف أمام رغبات الهو المرفوضة .ولتحقيق ذلك يعمل على تأجيل الإشباع عند الحاجة، وقد يعمل من خلال ميكانيزمات الدفاع لحل الصراع بين حاجات الهو،ومتطلبات الواقع وقيم الأنا العليا.

- **الأنا الأعلى:** تنمو الأنا العليا في نهايات المرحلة الأوديبية ، وذلك كنتيجة للتوحد مع الوالد من نفس الجنس ، ويتم امتصاص القيم الوالدية حول ما هو مقبول أو غير مقبول، وتعمل كقوة ضاغطة على الهو من جانب، وأيضا على الأنا عندما يبدي تساهلا في التعامل مع الهو.

كما يقسم فرويد الخبرات وفقا لثلاثة أبنية من حيث درجة الوعي بها، ترتبط بها البناءات السابقة الذكر إلى درجة كبيرة البناءات وتشمل:

- **الشعور:** ويمثل الجزء الواعي من العقل، ويشمل الجزء الأكبر من الأنا(العمليات العقلية الواعية)، فيما عدا ميكانيزمات الدفاع اللاشعورية.
- **ما قبل الشعور:** ويحوي تلك الخبرات التي لا تكون في مركز الوعي إلا انه يمكن استرجاعها بشيء من الجهد وأيضا الخبرات التي في طريقها إلى الكبت.
- **اللاشعور:**هذا هو الجزء الأهم من وجهة نظر فرويد، حيث يمثل الجزء الأعمق من العقل والبعيد عن الوعي .حيث تكون محتوياته لا شعورية وعادة ما ترتبط بالرغبات والأحداث الماضية والتي ترتبط عادة بالمركبات الأوديبية المرتبطة بالجنس والعدوان، التي حولت عن طريق) ميكانيزم الكبت (من حيز الوعي إلى حيز اللاوعي أو اللاشعور .ولعل من أهم ما قدمه فرويد في هذا المجال هو تفسيره عن ديناميكية أو فاعلية الشعور والتي تظهر في ميكانزمات الدفاع التي تبدأ بميكانزم الكبت ثم مجموعة من ميكانزمات الأنا اللاشعورية التعويضية) منها على سبيل المثال الإسقاط، التبرير ، الإعلاء....الخ (التي تعمل على ضمان استمرارية كبت الخبرات المؤلمة أو غير المقبولة، مع تحقيق نوع من التوازن الناتج عن خفض منسوب القلق.

كما تكلم **فرويد** عن الطاقة التي يولد الطفل وهو مزود بها وهي طاقة غريزية قوامها الجنس والعدوان ، أو كما أطلق عليها فرويد اسم " اللبيدو" Libido بمعنى الطاقة ، و هي تعني كل الطرق التي ينتهجها الكائن البشري في الحصول على المتعة و تجنب الألم من خلال تحقيق الحاجات البدنية و العاطفية ، وهذه الطاقة تدخل فى صدام محتم مع المجتمع ، وعلى أساس شكل الصدام ونتيجته تتحدد صورة الشخصية فى المستقبل .

ويذهب فرويد إلى أن الطاقة الغريزية التى يولد الطفل مزوداً بها تمر بأدوار محددة فى حياته، والنضج البيولوجى هو الذى ينقل الطفل من دور الى آخر أو من مرحلة الى آخرى ولكن نوع وطبيعة المواقف التى يمر بها هى التى تحدد النتاج السيكولوجى لهذة المراحل ، كما أنها هي التى تحدد مدى انتظام سير الطاقة فى خطها المرسوم سلفا أو تعثرها فى السير وتخلفها أو تخلف معظمها فى مراحل معينة ، هذا التخلف الذى يطلق علية فرويد" **التثبيت**" .

التثبيت: يرى فرويد أنه يعود بجانب العوامل الوراثية إلى عوامل ذات طبيعة تربوية اجتماعية وعلى رأس هذة العوامل الإشباع المسرف فى سنى المهد والطفولة المبكرة ، والذى يجعل الطفل لا يريد أن يترك هذا المستوى الذى ينعم فيه بالإشباع والمتعة . ولكن النمو يتابع سيره الى المرحلة التالية ، ولكن بعد أن يكون قد تخلف قدر كبير من الطاقة اللبيدية فى المرحلة التى حدث فيها التثبيت ، ومن عوامل التثبيت أيضا الاحباط الشديد الذى يجعل الطفل يجد صعوبة فى تخطى هذا المستوى الى المستوى التالى طلبا للإشباع الذى كان من المفروض أن يتلقاه فى هذة المرحلة ، كما أن التثبيت قد يحدث فى ظل الإشباع المسرف والإحباط الشديد لأنة كثيراً ما يكون التناوب بين الاشباع المسرف والاحباط الشديد هو العامل الحاسم وراء التثبيت . وإذا لم يحدث تثبيت للطاقة اللبيدية فى أية مرحلة وواصلت سيرها ، فإن الطفل ينتقل من مرحلة سيكولوجية الى التى تليها ، ويستمد الطفل إشباعه لطاقته الغريزية فى كل مرحلة خلال عضو معين من أعضاء جسمه ، ويسمى فرويد المراحل النفسية باسم العضو الذى يستمد منة الطفل الإشباع فى مرحلة معينة .

يمر النمو النفس جنسي عند فرويد بخمسة مراحل تتميز كل مرحلة عن المرحلة الأخرى بمنطقة الشبق وطبيعة النمو وخصائصها، وسنجمل هذة المراحل في التالي:

1- المرحلة الفمية المصية :

وتشمل العام الأول من حياة الطفل . وتتركز حياة الطفل فى هذه السن حول فمه ، ويأخذ لذته من المص ، حيث يعمد الى وضع أصبعه أو جزءً من يديه فى فمه و مصه ، ويتمثل الاشباع النموذجى فى هذة المرحلة فى مص ثدى الأم ، وحينما يغيب الثدى عنه يضع أصبعه فى فمه كبديل للثدى ، ويؤكد فرويد على أن هذه المرحلة هى مرحلة الإدماج القائمة على الأخذ.

2- المرحلة الفمية العضية:

وتشمل العام الثانى. ويتركز النشاط الغريزى حول الفم أيضا ، ولكن اللذة يحصل عليها هذه المرة من خلال العض وليس المص ، وذلك بسبب التوتر الناتج عن عملية التسنين ، فيحاول الطفل أن يعض كل ما يصل إليه ، وهنا يشير فرويد الى أول عملية احباط تحدث للفرد فى حياته ، وذلك حينما يعمد الطفل الى عض ثدى الأم ، وما يترتب على ذلك من سحب الأم للثدى من فمه ، أو عقابه ، مما يوقعه فى الصراع لأول مرة ، فهو يقف حائراً بين ميلة الى اشباع رغبته فى العض وبين خوفه من عقاب الأم وغضبها والذى يتمثل لديه فى سحبها للثدى من فمه ، وهذه المرحلة هى مرحلة ادماج أيضا تقوم على الأخذ و الإحتفاظ ، والطفل فى هذه المرحلة ثنائى العاطفة يحب ويكره الموضوع (الشخص) الواحد فى نفس الوقت ، حسب ما يناله من اشباع أو احباط على يد هذا الموضوع (الشخص) .

3- المرحلة الشرجية :

وتشمل العام الثالث ، حيث تنتقل منطقة الإشباع الشهوي من الفم الى الشرج ، ويأخذ الطفل لذته من تهيج الغشاء الداخلى لفتحة الشرج عند عملية الاخراج ، ويمكن أن يعبر الطفل عن موقفه أو اتجاهه إزاء الآخرين بالاحتفاظ بالبراز أو تفريغه فى الوقت أو المكان غير المناسبين ، وجانب هام من المرحلة الشرجية هو التدريب على ضبط عمليات الإخراج، والتي يحدث بسببها أنواع من الصراعات البينية الشخصية بين الأطفال وآبائهم. فمن وجهة نظر الآباء فالقية تتركز في عملية التحكم أو الضبط :"هل يستطيع ابني التبول والتبرز كما أريد أولا؟" وبالنسبة للطفل فالقضية تتركز في القوة: "هل أستطيع أفعل ما أريد أو ما يريدون هم مني أن أفعله؟"

4- المرحلة القضيبية :

وتشمل العامين الرابع والخامس ، وفيها ينتقل مركز الاشباع من الشرج الى الأعضاء التناسلية ، ويحصل الطفل على لذته من اللعب فى أعضائه التناسلية ، ويمر الطفل فى هذة المرحلة بالمركب الأوديبى الشهير وهو ميل الطفل الذكر الى أمه ، والنظر الى أبيه كمنافس له فى حب الأم ، وميل الطفلة الأنثى الى الوالد وشعورها بالغيرة من الأم .

وفى الظروف الطبيعية للنمو ينتهى الموقف الأوديبى بتوحد الطفل مع والده من نفس الجنس .

والتوحد مفهوم يشير الى أن الفرد يسلك أحيانا ، وكأن سلوك شخص آخر هو سلوكه هو ، ويتضمن التوحد إعجاب المتوحد بالمتوحَد به . واتخاذه نموذجا يتحد به ، وتتم عملية التوحد على المستوى اللاشعورى . فيبدأ الطفل فى تشرب قيم الوالد الثقافية ، وهى القيم السائدة فى المجتمع ، كما تبدأ البنت فى التحول بعواطفها نحو الأم ، وإذا حدث ما يؤثر على سير النمو ، كما يحدث خلال ظاهرة التثبيت ، فإن علاقة الطفل بأمه تظل قوية ، وتتعطل عملية التوحد مع الوالد ، كما تستمر روابط الطفلة العاطفية بوالدها، أو تضطرب علاقة الطفل بوالديه معا . ويترتب على ذلك اضطرابات فى الشخصية والسلوك فيما بعد .

5- مرحلة الكمون :

وبتصفية المركب الأوديبى ، والتوحد مع الوالد مع نفس الجنس يدخل الطفل فى مرحلة ينصرف فيها عن ذاته الى الانشغال بمن حوله وبما حوله . ويحدث تقدم كبير فى النمو العقلى والانفعالى والاجتماعى فى هذه المرحلة التى تمتد من سن السادسة حتى حدوث البلوغ الجنسى فى الثانية عشر للبنات والثالثة عشر للبنين ، ويكون الطفل حريصا فى هذه المرحلة على طاعة الكبار و الامتثال لأوامرهم ونواهيهم وراغبا فى الحصول على رضائهم وتقديرهم . ولذا فهذه المرحلة مرحلة هدوء

من الناحية الانفعالية .

6- المرحلة الجنسية الراشدة (التناسلية):

وفى هذا المستوى تأخذ الميول الجنسية الشكل النهائى لها . وهو الشكل الذى سيستمر فى النضج . ويحصل الفرد السوي على لذته من الاتصال الجنسى الطبيعى مع فرد راشد من أفراد الجنس الآخر . حيث تتكامل فى هذا السلوك الميول الفمية والشرجية ، وتشارك فى بلورة الجنسية السوية الراشدة . وعلية فإن الفرد السوي هو من يحصل على إشباع مناسب فى كل مرحلة نمائية ، أما إذا تعطلت مسيرة النمو كما يحدث فى بعض الحالات فإنه قد يترتب عليه حدوث ما أسماه فرويد " **عملية التثبيت** " ويكون الفرد أميل الى **النكوص** الى المرحلة التى حدث فيها التثبيت ، والنكوص الى مرحلة معينة يعنى إتيان أساليب سلوكية تتناسب مع هذه المرحلة.

عند مواجهة الطفل لأي صعوبات في احدى تلك المراحل فانه يثبت على نفس المرحلة ولا يتجاوزها نفسيا وهذه الصعوبات التي يواجهها تعبر عن نفسها من خلال أعراض لا تكيفية، خاصة عندما تكون المشكلات مزمنة وقد يقود الاحباط الشديد او الاشباع المفرط الى نشوء مشكلات لدى الفرد على سبيل المثال:

الاعراض القهرية تبين فشل الفرد في تخطي المرحلة الشرجية بنجاح

الحاجات الاعتمادية الزائدة لدى الراشد تشير الى تأثير المرحلة الفمية

كما أن جميع الاشخاص الذين يظهرون طابع تكويني محدد والذي ليس من الضروري أن يكون عصابيا بالتحديد يعكس رواسب الدوافع الاصلية في الطفولة سواء عن طريق تصعيد هذه الدوافع او تشكيل ردود فعل ضدها ، على سبيل المثال

على الصعيد الفمي: حب الطعام – التزمت في الكلام، الاتكالية، مص الاصابع ،السذاجة ،

التكوين الشرجي: البخل ، القسوة ، العناد ،عدم التعاون مع الاخرين ، تكلف الاحتشام، الإفراط في الأناقة ،المحافظة على الوقت ، الانصياع للأوامر

التكوين القضيبي: الحياء أو التواضع المفرط ، الشذوذ الجنسي.